خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٦ في مسجد فضل بلندن

*****

- صفة الله "السميع" وأثرها في تقوية الإيمان
- الجمع بين العمل والدعاء سنّة الأنبياء
- بناء بيت الله وأهميته وحكمته ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام
- لا تسأموا من الدعاء، فالمؤمن لا يسئم أبدا
- مكانة النبي ﷺ الأعلى والأرفع
- سفر النبي ﷺ إلى الطائف
- القول السديد في التبرعات وتنظيم الميزانية

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة: ١٢٨)

ستبدأ الخطب من اليوم حول صفة الله "السميع". ثم قرأ حضرته الترجمة الأردية للآية المذكورة آنفا. ثم قال: عندما تُنسب كلمة "السَّمِيع" إلى الله تعالى – كما ذكر العلامة راغب الأصفهاني – فإن المراد به هو علم الله تعالى بكل ما يُسمع ويُدرك، وإرادته للجزاء على ذلك. وكما يتضح من هذا التعريف، فإن بعض الناس يقعون أحيانًا في الخطأ واليأس بسرعة، فيقولون: لقد دعونا الله كثيرًا، وكثرت دعواتنا، ولكن لم يُستجَب دعاؤنا.

والحق أن الله تعالى يعلم بما نحتاجه حتى قبل أن ندعوه، ويعلم أيضا إذا كنا نحتاج إلى ذلك الشيء فعلاً في تلك الحالة أم لا. وإن كنا من عباده المحبوبين – نسأل الله أن نكون كذلك – فهو أعلم بما يصلح لنا وفي أي وقت، وأي شيء هو الأفضل لنا في تلك اللحظة.

لذلك ينبغي أن نضع في الحسبان دائما عند الدعاء حقيقة إنه ﷻ "سَمِيعٌ" وهو في الوقت نفسه "عَلِيمٌ" أيضا. إن مهمتنا هي الدعاء فقط. وكثيرًا ما يسمع الله تعالى تضرعات عبده ودعاءه، لكنه قد يردّ ذلك الدعاء في الصورة التي يطلبها العبد، فينبغي للعبد ألا ييأس.

ربما سمعتم قصة شهيرة جاء فيها أن رجلا صالحا ظل يدعو إلى ثلاثين سنة، وكان كل يوم يتلقى الجواب: "لم يُقبل". ثم جاء أحد من مريديه وجلس عنده ثلاثة أيام فقط وعيل صبره فبكى الرجل الصالح وقال: "أنا أدعو منذ زمن طويل ولا أزال أتلقى الجواب بالرفض. وليست مهمتي إلا أن أدعو، فسأستمر في ذلك." ثم طرأت على الرجل الصالح الحالة السابقة، ورأى المريد أيضا ذلك المشهد، فكان جواب الله تعالى: "قُبلت كل الدعوات التي دعوت بها في هذه المدة الطويلة".

فالأمر الأساسي في الدعاء هو الصبر واليقين بأن الله تعالى أعلم بما هو خير لنا.

وفي هذا السياق، هناك حديث رواه ابن عباس ﷺ في شرح الآية، قال: إن النبي ﷺ قال: إن إبراهيم قال لابنه إسماعيل عليهما السلام وهما يبنيان الكعبة: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا. قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي (الجدار) حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ (أي الحجر الأسود) فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: واتخذ الله إبراهيم...)

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ شارحا الآية: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾:

فاعلم أن من شأن الأنبياء وعظمتهم أنهم -إلى جانب العمل والسعي- يشتغلون بالدعاء. الناس يعملون قليلا ويتفاخرون، ويقولون بأننا قدمنا تضحيات كبيرة. ولكن انظروا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام فإنه أولا استعد لذبح ابنه الوحيد، ثم عندما كبر ابنه أخذه إلى برية لا طعام فيها ولا ماء، ثم رضي بموته للأبد من خلال بناء الكعبة. وأقول موته للأبد لأنه كان من الممكن أن يغادر إسماعيل هذا المكان إلى مكان آخر بعد رجوع إبراهيم من هناك، ولكن بناء البيت الحرام قيَّد إسماعيل عليه السلام هناك فلا يبرحه. وكأن كل لبنة من الكعبة المشرفة كانت تقول بلسان حالها لإسماعيل عليه السلام: الآن سوف تقضي كل حياتك في هذا البرية.

ما أعظم تضحية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام! ولكن لاحِظوا تذللهما لله تعالى إذ يبتهلان بعد ذلك ﴿ربنا تقبل منا﴾ .. يا رب جئناك بهدية متواضعة، فتغاضَ عن تقصيرنا، وتقبَّلْها بفضلك ورحمتك. انظروا كيف يتضرعان ويتوسلان لله تعالى ليتقبل هديتهما! فكلمة (تَقَبَّل) من مصدر التفعُّل الذي يُستخدم تعبيرا عن التكلف والتأكيد. فكأنهما يقولان: يا رب، تقبل تضحيتنا هذه

بمحض رحمتك، مع أنها كانت تضحية عظيمة بحيث لا نجد لها نظيرا في العالم. كان الأب يضحي بابنه، والابن بأبيه، وكانت كل لبنة من الكعبة المشرفة تقيدهما بتلك البرية التي لا ماء فيها ولا كلأ، بل إن إبراهيم بنفسه كان يدفِن في بناء هذا البيت عواطفه وأحاسيسه مع كل لبنة من لبنها، ومع ذلك يدعو ويبتهل إلى ربه قائلا: يا رب إن هذه الهدية لا يليق أن تقدم إليك، ولكن نتوسل إليك أن تتقبلها برحمتك وفضلك. ما أعظم هذا التذلل الذي أبداه إبراهيم! والحقيقة أن حالة القلب هذه هي التي ترفع قدر الإنسان، وإلا فكل إنسان يمكن أن يضع اللبنات ويبني العمارة. ولكن إذا كان هناك قلب إبراهيمي عندئذ تتيسر هذه النعمة التي يسرها الله لإبراهيم (عليه السلام).

فعلى كل إنسان أن يقول: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾. ولكن من الأسف أن الناس بدلا من أن يقولوا: ﴿ربنا تقبل منا﴾ .. يقولون: إن تضحيتنا لم تنل حقها من التقدير؛ أو يقولون: إن هؤلاء لا يقدروننا حق قدرنا. مع أنهم لا يفعلون ما يفعلون إلا تقليدا للسابقين، أما إبراهيم فلم يقلد أحدا، بل ما أمره الله بها إلا وكان مستعدا لتقديمها. إن أمثال إبراهيم هم عماد هذا العالم، ووجودهم المبارك تميمة ضد المصائب. إنهم يقدمون التضحيات .. ومع ذلك يمضون طائعين يقولون: إن تضحيتنا يا رب لا تليق بأن تقدَّم بين يديك، لأنك أعظم وأسمى، ولكن نرجوك أن تتغاضى عن ذلك وتتكرم علينا بقبولها. إنك السميع .. تسمع الدعوات، وإنك العليم .. تعلم أن هذه التضحيات هي أقصى ما نستطيع تقديمه وإن كانت ضئيلة بالنسبة لمقامك. وكونك سميعا يقتضي أن ترحمنا، وكونك عليما يدل على أنك تعلم أن هذا كل ما في قدرتنا.

هذه هي الروح التي تحلّى بها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وهما يرفعان قواعد بيت الله قائلين ﴿ربنا تقبل منا﴾ .. إننا شيدنا هذا البيت خالصا لإرساء توحيدك ومحبتك، فتقبل هذا منا بفضلك، واجعله مكان ذِكر وبركة للأبد .. ﴿إنك أنت السميع العليم﴾ أنت تسمع ضراعتنا الحارة، وتعلم أحوالنا؛ فإذا قضيت أن يبقى هذا البيت إلى الأبد خالصا لذكرك، فمن ذا الذي يستطيع أن يغير قضاءك؟ (التفسير الكبير، المجلد ٢، ص ١٧٧-١٨٠)

وتبَيَّن من هذه الآية أن لبناء بيت الله في الواقع جانبين: جانب يتعلق بالعبد، وجانب يتعلق بالله تعالى. فالبناء الذي نسميه "بيت الله " يُبنى من الطين واللبِن، وهذا لا يصنعه الله تعالى وإنما يصنعه الإنسان، ولكن هل يصبح البناء بيتا لله إذا بناه الإنسان؟ الإنسان إنما يبني الهيكل .. أما الروح فالله يلقيها فيه. ونظرا لهذه الحقيقة يقول إبراهيم: لقد بنيتُ أنا وابني إسماعيل الهيكل، ولكن بناءنا هذا لا يعني شيئا. هناك العديد من المساجد التي بناها الملوك والأمراء .. ولكنها أصبحت اليوم خرابا مهجورة .. ذلك لأن الإنسان بنى تلك المساجد، ولكن الله لم يَقْبلْها .. لذلك يدعو إبراهيم وإسماعيل: يا رب لقد بنينا لك بيتا فاقْبله، واسكُنْه. وإذا سكن الله ﷻ مكانا كيف يمكن أن يخرب؟

يمكن أن تخرب القرى وتخرب المدن ولكن المكان الذي سكنه الله لا يمكن أن يصيبه الخراب. (التفسير الكبير، المجلد ٢، ص١٨١)

يقول الخليفة الأول ﵁ بهذا الشأن: ﴿السميع العليم﴾ أنا أسمع الأدعية وأعرف ذوات الصدور والحاجات والإخلاص. (حقائق القرآن، المجلد ١، ص٢٢٨ طبعة ربوة)

ويقول ﵁ أيضا: هذا دعاءٌ دعا به سيدنا إبراهيم ﵇ في حضرة ربِّ العزة وربِّ العالمين، الله جلَّ شأنه. ويتضح من ذلك أنَّ الله تعالى قد هيَّأ بفضله، لسيدنا إبراهيم ﵇ مناسبةَ دعاءٍ لمجيء الإسلام إلى هذا العالم وظهور ثماره. ومعنى هذا الدعاء: أنتَ ربُّنا ومربّينا ومحسننا، فكما تُغذِّي ربوبيتُك الشاملة قوى الجسد ويتحلَّى الإنسان بمكارم الأخلاق السامية، كذلك ربِّ أرواحَنا أيضا وارفعنا إلى أعلى مراتب العقيدة. اللهم! ابعث فيهم بحسب عظمة ربوبيتك رسولاً يكون ﴿مِنْهُمْ﴾ وتكون مهمته أن يتلو عليهم آياتِك (لا كلامَ نفسه) ويشرحها لهم ويُعلِّمهم إياها. ولا تكتفِ بذلك فقط، بل امنحه من القوة والجذب والتأثير ما يجعل الناس يعملون بهذه التعاليم فيتزكَّوا ويتطهَّروا. ويتجلَّى في ذلك عزُّ اسمك لأنك عزيزٌ وكلامك مملوءٌ بالحق والحكمة. وكيف استُجيب لهذا الدعاء؟ هذا ما تعرفونه. وما نجنيه من فوائد اليوم ما هو إلا ثمرةٌ من ثمرات هذا الدعاء. (حقائق القرآن، المجلد ١، ص٢٣٣ -٢٣٤)

ويقول سيدنا الخليفة الأول ﵁ أيضا: دعا إبراهيم ﵇ عند بناء هذا المسجد (الكعبة) سبع دعوات:

الأولى: ﴿ربَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾، الثانية ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾، أي: اللهم اجعلنا مطيعَيْن لك، وأخرج من ذريتنا جماعةً مُعلِّمةً للخير مطيعةً لك، وأرنا مواضع عبادتنا وطرقها .الثالثة: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، أي: أبعدني وذريتي عن عبادة الأصنام .الرابعة: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾، أي: ارزق أهل مكة من الثمرات .الخامسة: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم: ٣٩)، أي: اجعل قلوب بعض الناس تشتاق إلى هذه البلدة. السادسة: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾، أي: ابعث فيهم رسولاً عظيم الشأن. السابعة، ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم: ٣٦)، أي: اجعل هذه البلدة بلدَ أمن وسلام.

يقول حضرة خليفة المسيح الأول ﵁: ذُكر في القرآن الكريم استجابة هذه الدعوات في الآيات السبع التالية: فقد ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ﴾ (المائدة: ٩٨) جواباً على الدعاء الأول: أي: جعل الله الكعبة بيتاً مُعظَّماً محترماً. وثانيا: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣١). ثالثا: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥) ثم قال تعالى: ﴿وَهُدىً لِلنَّاسِ﴾. رابعا: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ (قريش: ٥).

والجدير بالملاحظة أن المنطقة التي تقع فيها مكة ليست فيها زراعة كافية تُنتج مختلف أنواع الأطعمة، غير أنه بفضل استجابة هذه الدعوة كانت القوافل التجارية تفد إليها في ذلك الزمان مع شتى أنواع المؤن، ولا تزال كل الحاجيات متاحةً فيها اليوم أيضا. خامسا: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٢٦)، أي: جعلنا بيت الله مجمعاً يأتيه الناس أفواجاً أفواجاً. فانظروا اليوم تروا أن ملايين الحجاج يتوافدون إليه كل عام، فضلاً عن المعتمرين على مدى العام. سادسا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ (الجمعة: ٣)، أي: هو الذي بعث في أهل مكة رسولاً من بينهم يتلو عليهم آياته ويُزَكّيهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة، وهو النبي ﷺ. سابعا: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٨)، أي: من دخل مكة نال الأمان.

ثم قال ﷺ: دعا سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بسبع دعوات فاستُجيبت كلها. (نور الدين، ص ٢٤٩-٢٥٠)

ويقول أيضا الخليفة الأول ﷺ بهذا الشأن: يجب على الإنسان ألا يملّ من الأدعية. مع أن نتائجها تظهر بعد فترة من الزمن ولكن المؤمن لا يملّ منها أبدا. إن نماذج الأدعية موجودة في القرآن الكريم، منها دعاء إبراهيم عليه السلام الذي يتبين منه ما كان يتمنى لذريته: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾. تأملوا في هذا الدعاء. من دعاء إبراهيم يمكن تقدير أمانيه الروحانية وعلاقته مع الله وعواطفه لبني البشر. كان بإمكانه أن يدعو أن اجْعلْ أولادي ملوكا، ولكن انظروا ماذا يقول: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾. وماذا ستكون مهمته؟ يتلو عليهم آياتك ويملك قوة قدسية ليطهرهم ويُطلعهم على حقائق كتاب الله وحِكمه، ويكشف عليهم أسرار الشريعة. هذا دعاء عظيم لدرجة لا يمكن أن يناهضه دعاء آخر. ولا يلاحَظ هذا الدعاء في حياة أيّ شخص يمكننا العثور على وقائع حياته منذ بدء الخليقة. هذا الدعاء يبين علوّ عزيمة إبراهيم عليه السلام بكل وضوح. ثم ماذا كانت نتيجة هذا الدعاء، ومتى ظهرت؟ بعد فترة طويلة طبعا. ونتيجة له وُلد شخص عظيم مثل النبي ﷺ هاديا ومصلحا للعالم كله، ورسولا إلى يوم القيامة، وجاء بكتاب اسمه القرآن ولا يوجد رشد ونور وشفاء أكثر منه. (حقائق الفرقان، المجلد ١، ص ٢٣٣)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: لما كان سيدنا إبراهيم عبدا صادقا ووفيا لله فقد أعانه ﷻ في كل موطن ابتلاء. وحين ألقي في النار ظلما أبردها الله له... ثم حين ترك إبراهيم ابنه الحبيب إسماعيل بأمر من الله تعالى في واد، موجود في منطقة جبلية، لا ماء فيه ولا زرع ولا طعام، هيأ الله له من الغيب ماءً وطعاما. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٢)

ثم قال عليه السلام: لقد رزق الله تعالى إبراهيم بركات كثيرة فسلِم من صولات الأعداء دائما. فبتسميتي إبراهيم أشار الله تعالى إلى أن إبراهيم هذا أيضا سيُعطى بركات كثيرة ولن يقدر المعارضون على أن

يضروه شيئا .. إن حب الله لإبراهيم كان نقيا لدرجة أنه – عز وجل – أرى لحمايته أمورا عظيمة، وطمأنه بنفسه في مواطن الحزن. (المرجع السابق ص١١٤-١١٥)

ويقول عليه السلام أيضا في مكان آخر: كما كان إبراهيم عليه السلام رافع بنيان الكعبة، كذلك كان نبينا ﷺ سببا لإخضاع العالَم كله أمام الكعبة. لقد وضع إبراهيم عليه السلام أساسا للخضوع أمام الله تعالى، أما نبينا ﷺ فقد أكمل هذا البنيان. وقد توكل على الله تعالى ذي الفضل والرحمة لدرجة يجب على كل باحث عن الحق أن يتعلمه منه ﷺ. لقد وُلد إبراهيم عليه السلام في قوم لم يكن فيه للتوحيد أي أثر، وما كان لديهم أي كتاب. كذلك وُلد نبينا الأكرم ﷺ في قوم غارقين في الجهل، ولم يصلهم أيّ كتاب ربّاني. ثم هناك مشابهة أخرى أن الله تعالى نظّف قلب إبراهيم وطهَّره تطهيرًا، حتى تبرّأ من أحبته وأقاربه من أجل الله ولم يبق له في الدنيا أحد إلا الله، وقد جرت أحداث مماثلة بل أكبر منها مع النبي ﷺ مع أنه لم يكن في مكة بيتٌ إلا وكانت للنبي ﷺ صلة قرابة به، ولكن الجميع صاروا أعداء له حين دعاهم إلى التوحيد الخالص ولم يبق معه أحد إلا الله. وكما أن الله تعالى وجد إبراهيم وحيدا فرزقه ذريةً لا تُعدُّ كما لا تُعدُّ نجوم السماء، كذلك أنزل الله ﷻ على النبي ﷺ أفضالا وبركات لا تعدُّ ولا تُحصى بعد أن وجده وحيدا، وأعطاه صحابةً رفقاء له والذين ما كانوا كثيري العدد فحسب كنجوم السماء، بل استنارت قلوبهم بنور التوحيد. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٧٦-٤٧٧ الحاشية)

والآن أقدم بعض الأحاديث والمقتبسات عن صفة الله "السميع": عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ... أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ. (صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ثُمَّ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ثَلَاثًا أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ. (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك)

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَتْ أُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ قَالَ اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ. (صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله)

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث ما معناه: يروي أنس ﷺ في صحيح مسلم ويقول: والله أملك اليوم مالا كثيرا وثروة كبيرة وقد تجاوز عدد أولاد وأحفادي مائة نفر. (انظر فتح الباري، كتاب الدعوات، باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله)

وقد ورد دعاء النبي ﷺ لجابر بن عبد الله ﷺ، حيث يروي أن والده عبد الله توفي وعليه ديون، فذهب إلى النبي ﷺ وقال له: إن والدي توفي مديوناً، وليس لديّ ما أسدد به ديونه سوى ما تُنتجه نخيله، وما عليه من دين سيستغرق مني سنوات لسداده، فتفضّل بالمجيء معي حتى لا يُسيء إليّ الدائنون.

فجاء رسول الله ﷺ وطاف حول كومة من التمر وهو يدعو، ثم طاف حول كومة أخرى وهو يدعو، ثم جلس عليها وقال: "كيلوها". فأُوفي الدائنون حقوقهم كاملةً، وبقي (استجابة لدعائه ﷺ) من التمر مقدار ما أعطى ﷺ. (انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام)

هناك رواية أخرى تشير إلى ما حدث أثناء السفر إلى الطائف. عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ (هذه إشارة إلى رحلة الطائف) إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. (البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة)

وبسبب هذه الأدعية وفّق بنو ثقيف، أي أهل الطائف، لدخول الإسلام.

والآن أقدم بعض النماذج لاستجابة أدعية المسيح الموعود عليه السلام: مرِض عبد الرحيم خانْ ابن نواب سردار محمد علي خان رئيس مالير كوتله بالحمى الشديدة ولم يبق في شفائه أمل وكأنه أصبح في حكم الميت. فدعوت له، ولكن تبين بعد الدعاء أن القضاء مبرَمٌ. فتضرعت في حضرة الله وقلتُ: يا إلهي إني أتشفع له. قال الله في الجواب ما نصه: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه". فسكتُّ. ثم تلقيت وحيا في الحال: "إنك أنت المُجاز". فانصرفت إلى الدعاء بالتضرع والابتهال واستجاب الله دعائي؛ فكأن الولد خرج من القبر، وظهرت عليه آثار الصحة. وكان قد هزل كثيرا، فعاد إلى

طبيعته بعد فترة واستعاد صحته المعهودة، ولا يزال حيا يُرزَق. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص٢٢٩-٢٣٠)

ثم نال المريض المذكور عمرا طويلا بفضل الله تعالى. وقال عليه السلام أيضا: نبوءة عن الشيخ مهر عليّ الهوشياربوري: رأيت في المنام أن نارا اندلعت في بيته فأطفأتُها أنا. وكانت في ذلك إشارة إلى الإفراج عنه في نهاية المطاف نتيجة دعائي. فأخبرتُ الشيخ مهر علي بتفاصيل النبوءة في رسالة بعثتُها إليه. وبعدها حلت به مصيبة السجن حسب النبوءة، غير أنه قد أُفرِج عنه بحسب الجزء الثاني من النبوءة. (المرجع السابق ص٢٣٣)

لقد كتب إلي السيد سردار خان أخو الحكيم شاه نواز خان المقيم في راولبندي أن المحكمة طلبت كفالة من أخيه ومن فريق الخصوم، وطلبنا من حضرتكم (أي مني) الدعاء بعد المرافعة. علما أن كلا الفريقين قدّم المرافعة. فقد قُبلت مرافعة السيد شاه نواز ببركة الدعاء ورُفضت مرافعة الخصم. ويقول الذين لديهم إلمام بالقانون بأن لا جدوى من المرافعة لأن الكفالة كانت قد طُلبت من كِلا الفريقين. وببركة الدعاء فُرض دفعُ الكفالة على الخصم وأُعفي منها شاه نواز. (المرجع السابق ص٢٣٧)

ثم يقول عليه السلام عن استجابة دعائه بحق ابنه: أصيب ابني بشير أحمد بمرض في عينيه ولم ينفعه دواء وكان هناك خطر أن يفقد بصره. وحين وصل المرض ذروته دعوت الله تعالى فتلقيت إلهاما نصه: "بَرّق طفلي بشير"، أي بدأ ابني بشير يبصر. فشفي في اليوم نفسه أو في اليوم التالي. وهذا الحدث أيضا يعرفه قرابة مئة شخص. (المرجع السابق ص ٢٤٠)

ثم هناك بعض الإلهامات للمسيح الموعود عليه السلام، منها إلهام تلقاه في عام ١٨٨٣م: ''سَلَامٌ سلام عليك، جُعلتَ مباركا، سمع الله، إنه سميع الدعاء. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٢٠)

سلامٌ عليك جُعِلتَ مبارَكًا. سمع الله إنّه سميع الدّعاء. (التذكرة، ص ٩٦)

وقد قال عليه السلام أيضا: لقد خاطبني الله تعالى مرارًا وقال: إذا دعوتَني سأستجيب لك. ("الحكم"، المجلد ٨، عدد ١٧، يوم ٢٤/ ١٩٠٤/٥، ص ٤) (التذكرة، ص ٥١٥، طبعة ١٩٦٩م)

وهناك إلهام آخر: "قد سمِع الله. أُجيبتْ دعوتُك. إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون." (التذكرة، ص ٦٧٣، طبعة ١٩٦٩م)

وفقنا الله تعالى للأدعية المقبولة، وأن نكون من الذين يُكملون مسيرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. يجب أن يكون أعظم دعائنا أن ينتصر الإسلام، ويرفع الله تعالى راية النبي محمد ﷺ على العالم عاجلا.

وفي الختام، أودّ الإشارة إلى أمر آخر. فقد نبّهني الوكيل الإضافي للمال إلى أن هذا الشهر هو الشهر الأخير من السنة المالية، وطلب مني أن أوجه أفراد الجماعة إلى الاهتمام بالتبرعات العامة وتبرعات الجلسة السنوية. غير أنه ليس هناك بفضل الله تعالى ما يبعث على القلق. فكما يتعامل الله معنا دائمًا، سيتعامل معنا في المستقبل أيضا إن شاء الله، وسيكون كفيلنا وسيسد كل احتياجاتنا، ولا شك في ذلك مطلقا. غير أن بعض الأفراد بحاجة إلى تنبيه وتوجيه.

وبهذا الشأن، أودّ أن أذكر أن لهذا الأمر ثلاثة جوانب:

الأول: إن بعض الناس لا يُملون دخلهم بشكل صحيح في البداية، ولا أسيء الظن بأحد فهم أدرى بأسبابهم، غير أنني أطلب من هؤلاء أن يُعيدوا تسجيل ميزانيتهم عند الجماعة وفق دخلهم الحقيقي في هذا الشهر الأخير من السنة.

الثاني: بعضهم يُسجّلون ميزانيتهم بشكل صحيح، لكن وقعوا في أزمة وظروف طارئة حالت دون سداد التبرعات رغم حسن النية وبذل الجهد. فأطلب من هؤلاء، كما أشار الخليفة الرابع رحمه الله، أن يتقدموا بطلب إلى نظام الجماعة أو إلى خليفة الوقت. فمن كان في هذا الوضع، سيُقبل منه ما يستطيع تقديمه بحسب مقدرته، وإن أراد الإعفاء فسيُعفى منه. ولكن القول السديد واجب دائما. أؤكد لكم أن كل الطلبات ستُعالَج إن شاء الله وفق رغبة أصحابها وظروفهم.

الثالث: وإذا تحسّنت أحوال أحد بعد وضع الميزانية في البداية، فليس عليه الاكتفاء بالسداد وفق الميزانية القديمة فحسب، بل عليه أن يسدد ما يتناسب مع ما أنعم الله عليه من أفضاله. فإذا كانت معاملاتنا مع الله تعالى صافية وشفافة، فإنه السميع العليم، المطلع على أحوالنا، وسيستجيب لدعائنا أكثر بالنظر إلى صدق نيّاتنا. وإن كنا بحاجة في هذا الزمان إلى شيء إنما هو فضل الله ورحمته والأدعية المتضرعة في حضرة الله التي تنال القبول عنده. لذا، فإن طلبي هو أن تجعلوا معاملتكم مع الله مستقيمة وصادقة في كل شؤونكم، فهذا هو السبيل الأساسي لقبول الدعاء.